

مجلة اللغة العربية والعلوم الإسلامية  
المجلد (2) العدد (7) - سبتمبر 2023م  
الترقيم الدولي للنسخة المطبوعة: 2812-145 x الترقيم الدولي للنسخة الإلكترونية: 5428 - 2812  
الموقع الإلكتروني: <https://jlais.journals.ekb.eg/>

## الأسواق والتجارة الداخلية في إفريقية زمن الدولة الفاطمية

(279-362هـ - 910م - 973م)

د. شيرين أحمد علي العدوي

مدرس بكلية الإعلام - جامعة أكتوبر للعلوم الحديثة والآداب

[aladawyshereen@gmail.com](mailto:aladawyshereen@gmail.com)

Journal of Arabic Language and Islamic Science Vol (2) Iss (7)- Sep2023  
Printed ISSN:2812-541x On Line ISSN:2812-5428  
Website: <https://jlais.journals.ekb.eg/>

## الأسواق والتجارة الداخلية في إفريقية زمن الدولة الفاطمية

(279-362هـ - 910م - 973م)

د. شيرين أحمد علي العدوي

مدرس بكلية الإعلام - جامعة أكتوبر للعلوم الحديثة والآداب

### مقدمة:

الدولة الفاطمية هي دولة شيعية إسماعيلية قامت في المغرب الأدنى ( إفريقية) في أواخر القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي (297هـ/910م) . ولم يأت قيام هذه الدولة فجائياً ، أو على سبيل المصادفة ؛ إنما سبقها تنظيم دقيق ودعوة سرية استمرت سنوات طويلة ، ثم جهادٌ حربي طويل إلى أن استطاع الفاطميون توطيد أركانها . ولم يكن حلم الفاطميين لينتهي بتأسيس دولتهم المغربية هذه ، فإنها لم تكن سوى هدفٍ مبدئي وخطوة أولى نحو تحقيق أملهم الواسع ، في حكم كل البلاد الإسلامية من أقصى المغرب الإسلامي إلى أقصى المشرق. ولكي يحقق الفاطميون حلمهم ذلك كان عليهم أن ينتقلوا بحكمهم إلى قاعدة متينة لهم في المشرق الإسلامي . فتوجهت أنظارهم إلى مصر، حيث كانت غنية في ثرواتها ، موفرة في خيراتها ، ذات موقع استراتيجي مهم يمكن منه الاستيلاء على المراكز الإسلامية القديمة ؛ كمكة والمدينة ودمشق ، بل والنفوذ والسيطرة على بغداد نفسها حاضرة الخلافة العباسية المعادية لهم. وهذا ما عملَ الفاطميون على تحقيقه منذ قيام دولتهم في المغرب إلى أن استطاعوا ذلك فتَمتَّ لهم السيطرة على مصر سنة 358هـ/969م ، وبذلك نجحوا في تأسيس دولة قوية شملت كل بلاد المغرب الإسلامي ومصر وهو ما يعرف في العصر الحديث بمنطقة شمالي أفريقيا.

ويقتصر هذا البحث على رصد جانب من جوانب اقتصاد الفواطم في إفريقية، وهو الأسواق والتجارة الداخلية، وجدير بالذكر أن إفريقية أو المغرب الأدنى هي المنطقة المقيدة من طرابلس شرقاً حتى بجاية وتاهرت غرباً وقاعدته مدينة القيروان مع التنبيه هنا على أن المؤرخون المسلمين أطلقوا كلمة (مغرب) على كل ما يقع

غرب مصر من أقطاره ولذا كانت مدينة الإسكندرية تسمى بباب المغرب، وتنقسم بلاد المغرب إلى أربعة أقسام هي : المغرب الأدنى أو إفريقية وبرقة وطرابلس وهما أول بلاد المغرب من جهة الشرق وهي القسم الثاني، أما القسم الثالث فهو المغرب الأوسط : ويمتد من تاجرت حتى وادي ملوية وجبال تاره وقاعدته مدينة تلمسان. أما القسم الرابع فهو المشهور باسم المغرب الأقصى والذي يمتد من وادي ملوية وجبار تازة شرقاً حتى مدينة أسفى<sup>(1)</sup> على المحيط الأطلسي غرباً وجبال درن جنوباً<sup>(2)</sup>.

وكيفما كان الأمر، فإن موضوع هذا البحث: "الأسواق والتجارة الداخلية في إفريقية زمن الدولة الفاطمية 297-362هـ/910-973م" سيختص بالقسم الأول أعني إفريقية أو المغرب الأدنى، أي الجزء الشرقي من المغرب العربي الإسلامي الذي يمتد من طرابلس شرقاً حتى مدينة بجاية، أو تاهرت غرباً، أي نعني كل البلاد التونسية في الوقت الراهن، مع الأجزاء الغربية من ولاية طرابلس في ليبيا وبعض الأجزاء الشرقية من الجزائر الآن<sup>(3)</sup>. وهي محاولة لدراسة ماهية التطور الاقتصادي للمغرب الأدنى في العصر الفاطمي.

وسوف يتم معالجة هذا الموضوع من خلال تمهيد، وثلاثة مباحث كالتالي:

- التمهيد يتناول: طبيعة التجارة الداخلية في إفريقية زمن الدولة الفاطمية:

---

<sup>1</sup> - أسفي (بالأمازيغية Asfi) إحدى مدن المملكة المغربية ، تقع بين مدينتي الصويرة والجديدة، أحمد بوشرب: دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة وإخلاء أسفي وأزمور، رسالة ماجستير، جامعة محمد الخامس (الرباط، 1979م)، ص 40 98.

<sup>2</sup> - أحمد إبراهيم الشعراوي، دور العرب في بلاد المغرب والأندلس، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2015م. ص13.

<sup>3</sup> - الطاهر أحمد الزاوي: معجم البلدان الليبية ، ط1 مكتبة النور، طرابلس، ليبيا 1968م ، ص8.

- **المبحث الأول:** أهم الأسواق الداخلية، وفيه الحديث عن أهم الأسواق، وأسعار السلع ، الإشراف على الأسواق وأهم ما بها من وظائف  
[:المحتسب - كاتب الوثائق - الدلال - الوكلاء والسماصرة -  
الحمالون - السقاة ]
- **المبحث الثاني** نتناول: وسائل المعاملات مثل : الموازين - المكييل-  
العملة- السفاتج والصكوك - المقايضة]
- **المبحث الثالث:** مراكز التجارة الداخلية الرئيسية مثل : مدينة  
القيروان، مدينة المهدية ، مدينة فاس، مدينة سجلماسة، مدينة برقة،  
مدينة طرابلس، مراكز أخرى للتجارة الداخلية.
- **ثم الخاتمة** التي تشمل أهم النتائج التي توصل اليها، وقائمة  
المصادر والمراجع.

**منهج البحث:** وقد اعتمدت الدراسة على منهج البحث التاريخي القائم على  
تتبع الوقائع والجزئيات للوصول إلى نتائج كلية، وأحكام قريبة من الواقع التاريخي،  
خلال موضوع الدراسة.

#### **تمهيد: طبيعة التجارة الداخلية في إفريقية زمن الدولة الفاطمية:**

تنوعت السلع داخل أسواق بلاد المغرب واشتهرت كل منها بنوع معين من  
المعروضات، فالبعض اختص بالتجارة في الحاصلات الزراعية، والبعض في  
المنتجات الحيوانية، والبعض الآخر في المنتجات الصناعية، وقد قام هناك نوع من  
التكامل بين هذه الأسواق بواسطة تبادل السلع بهن المدن والقرى فمدن بلاد المغرب  
كانت تعتمد على القوى لسد احتياجاتها من المواد الغذائية والمواد الأولية اللازمة  
للصناعة بينما كانت المدن تمد أهل هذه القرى بالصناعات البسيطة اللازمة  
لمعيشتهم.

فكانت مدينة أوجلة تصدر التمور إلى مدينتي برقه واجدابيه<sup>(1)</sup>، بينما كانت أسواق برقه الغنية بالبضائع من ثياب الصوف والاكسيه<sup>(2)</sup> والفلل والعسل والشمع والزيت تجذب تجار المغرب<sup>(3)</sup>، كما كانت مدينة قسطلية تجلب أقواتها من المناطق المجاورة لها ولذا نجد أن سعر الطعام في سائر الأقوات غال<sup>(4)</sup>.  
أما مدينة القيروان فكانت محور هذا النشاط إذ كانت تستورد القطن من مدينة قرطاجنة<sup>(5)</sup> ويرد إليها كل يوم من مدينة جلولا من أحمال الفواكه والبقول ما لا يحصى كثره<sup>(6)</sup>، كما جلبت من جزائر بقى مؤقتاً والعسل والسمن والتين<sup>(7)</sup>، وكثير من السفرجل المعترك<sup>(8)</sup>. وقد اشتهرت مدينة صفاقس بزيت الزيتون الذي كانت تصدره إلى أهل المغرب<sup>(9)</sup> بينما كانت مدينتا بونه ومرسى الدجاج تصدران إلى المناطق المجاورة لها الغنم وسائر الماشية والصوف والألبان والعسل والقمح والشعير والفواكه وخاصة التين<sup>(10)</sup>.

- 
- <sup>1</sup> - ابن حوقل : صورة الأرض، مكتبة الحياة، بيروت، 1991م ص 66 ، 67.  
البكري : أبو عبدالله بن عبد العزيز (ت 784هـ / 1301م): المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت ص 5 ، 6.  
<sup>2</sup> - المقدسي : محمد بن أحمد بن البناء البشاري، (ت. 380هـ) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، مكتبة مدبولي (القاهرة)، 1991م ص 239.  
<sup>3</sup> - ابن حوقل : صورة الأرض ص 67.  
<sup>4</sup> - ابن حوقل : صورة الأرض ص 94.  
<sup>5</sup> - نفس المصدر ص 74.  
<sup>6</sup> - البكري : المغرب ص 32.  
<sup>7</sup> - ابن حوقل : صور الأرض ص 76.  
<sup>8</sup> - نفس المصدر ص 76.  
<sup>9</sup> - البكري : المغرب ص 20.  
<sup>10</sup> - ابن حوقل : صور الأرض ص 75 ، 76.

وعن أهم السلع التي صدرتها مدن افريقيه إلى مدن المغرب القصى، فكان الزيت والفسق والزعفران واللوز والبرقوق والمزاود والاثطاع<sup>(1)</sup>، بينما كانت مدينة البصر تصدر القطن إلى افريقيه<sup>(2)</sup>، وغيرها بالإضافة إلى أن درعه كان يجلب منها ثمر شجر التاكوت الذي يدبغ به الجلد الغدامسي<sup>(3)</sup> أما مدينة ايجلى - قاعدة بلاد السوسر - فقد اشتهرت بزراعة قصب السكر واستخلاص السكر منه وتصديره إلى جميع بلاد المغرب<sup>(4)</sup>. كما اختصت أسواق مدينة زويله بنوع آخر من التجار، وهي تجارة الرقيق الأسود الذي كان مجلياً إليها من بلاد السودان والتي كانت تمد به بلاد المغرب وبقية الأرجاء<sup>(5)</sup>.

وفي أغلب الأحيان كانت المدن الكبرى تفي باحتياجاتها من المناطق المجاورة لها فمدينة قاعر كانت تجلب خشب الأرز من جبال بني ياونته على مسيرة ثلاثين ميلاً منها<sup>(6)</sup> ومدينة سجلياسه كانت تجلب أصوافها من حض يرار، وهي منطقة كثيرة الأغنام وأصوافها من أجود الأصناف<sup>(7)</sup>.

#### • أهم الأسواق الداخلية :

كانت الأسواق في بلاد المغرب محوراً للحياة الاقتصادية، حيث يتركز فيها النشاط الصناعي والتجاري، كما كانت تؤدي دوراً هاماً في حياة المدينة بصفقتها

---

<sup>1</sup> - المقدسي : أحسن التقاسيم ص 239.

<sup>2</sup> - ابن حوقل - صور الأرض، ص 85، البصرة : مدينة من مدن المغرب الأقصى بينها وبين مدينة غامر سبعة أيام، البكري سالم ص 110 - 111).

<sup>3</sup> - البكري : المغرب ص 83.

<sup>4</sup> - نفس المصدر، ص 152.

<sup>5</sup> - نفس المصدر ص 11.

<sup>6</sup> - ابن أبي زرع : علي بن أبي زرع الفاسي (ت 741هـ/1341م) الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ط2 دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص 17.

<sup>7</sup> - البكري : المغرب ص 147.

عنصرًا أساسيًا لازدهارها، ولذا فقد كانت بوضع اهتمام الخلفاء والأمراء بأن العصر الفاطمي.

وجدير بالذكر أن أول من نظر في تنظيم أسواق التجار والصناعة في المدائن الإسلامية الكبرى وأمر بترتيبها هو الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك ومن ضمن هذه المدائن التي شملت أسواقها الترتيب والتنظيم مدينة القيروان وذلك في حدود سنة 120هـ<sup>(1)</sup>. ثم جاء الوالي العباسي يزيد بن حاتم الهلبي وتولى المرة افريقية سنة 156هـ ونسق أسواق مدينة القيروان على ما استقرت عليه، فيذكر ابن عذارى أنه (رتب أسواق القيروان وحمل كل صناعة في مكانها)<sup>(2)</sup>. ومن ثم سرى هذا لنا عالم إلى المدائن الافريقية مثل تونس وصفاقس وسوه وامتد بعد حين إلى تاهرت وسجلماسة وفاس وغيرها من المدن المغربية<sup>(3)</sup>.

وكانت أسواق بلاد المغرب بما لذلك منسقة تنسيقاً ملائماً، فقد كانت الدكاكين صفات يقابله فصل بينهما ممر معقود السقف بالأجر أو بالحجارة الخفيفة وأمام صف الدكاكين توجد مصطبه قصيرة تمتد على كل من ناحيتي السوق يجلس عليها المشترون<sup>(4)</sup>.

وكانت هذه الأسواق تنقسم إلى قسمين أحدهما للصناعات اليدوية يشتغل فيها أربابها بتحويل المواد الأولية إلى مصنوعات والآخر يشمل أسواق البلاد بما فيها من المصنوعات المحلية والمجلوبة من المغارب<sup>(5)</sup>.

---

<sup>1</sup> - البكري - المغرب، ص 25، 26.

<sup>2</sup> - ابن عذارى ، أبو العباس أحمد بن محمد: البيان المغرب فى اخبار الأندلس والمغرب "تحقيق محمد إبراهيم الكتتى وآخرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985م ، جـ1، ص 68.

<sup>3</sup> - حسن حسني عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ت. ، جـ1، 58 ، 59.

<sup>4</sup> - حسن حسني عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية ، جـ1، ص 58 ، 76.

<sup>5</sup> - نفس المرجع جـ1، ص 71 ، 72.

ووجدت الدكاكين المخصصة للتصنيع أكثر اتساعاً من دكاكين البيع لأن العمل فيها يتطلب مكاناً فسيحاً لوضع الآلات والمواد الأولية اللازمة للصناعة ومن جهة أخرى، فإن عدد العاملين في الصناعة يكون دائماً أكثر منه في التجارة<sup>(1)</sup>.

وعن طبيعة العمل في هذه الأسواق فيمتد إلى فترة متأخرة من النهار إذ كانوا يمكنون إلى ما بعد الظهر حيث يأكلون في أحد المطابخ أو يستحضرون شيئاً منها إلى دكاكينهم ولا يذهبون إلى بيوتهم إلا في المساء بعد أن ينتهوا من العمل بالعشى<sup>(2)</sup>.

وتكون هذه الأسواق أثناء النهار ذات ظل منعش ومضاءة بكوى ترسل نوراً. وفي خلال ساعات العمل تكون مليئة بالحركة زاهر بالألوان ويكثر فيها صخب الجماعير ونداء الدالين<sup>(3)</sup>. وقد جرت العادة في أسواق مدينة فاس أن يقوموا برش طرقاتها بالماء في أيام الصيف للتخفيف من حرارتها<sup>(4)</sup>.

أما في المساء فتضاء الأسواق بالمصابيح ولا يبقى فيها سوى الحراس الذين يحولون دون حوادث السطو. فكان المعمول به في مدينة القيروان في ذلك الوقت أن تضرب الأسواق في المساء بعد إغلاق الأسواق فيمنع التجول خلال الطرقات وإذا (مشى أحد بعد ضربه ضربوا عنقه لأنه لا يمشي حينئذ إلا من يسرق أو يخرج لضرب من الفساد)<sup>(5)</sup>.

وكان الهدف من ذلك هو المحافظة على أموال الرعية وتوفير الأمن والاستقرار لهم، ولذا فقد أقيمت المراسد على أطراف الأسواق وفي داخلها،

---

<sup>1</sup> - نفس المرجع، جـ 1 ص 71 ، 72.

<sup>2</sup> - الدباغ : معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، ط2 بيروت، دار الكتب العلمية، 1998م جـ 3 ص 33.

<sup>3</sup> - مورييس غ. ديمومبيين ، النظم الإسلامية ؛ نقله عن الفرنسية صالح الشماع ، فيصل السامر، ط1 بغداد : مطبعة الزهراء، 1952م، ص 249.

<sup>4</sup> - ابن حوقل - صورة الأرض ص 90.

<sup>5</sup> - الدباغ - معالم الإيمان جـ ص 86 ، 87.



وزودت بالحراس اللازمين لذلك، وكان برفقتهم الكلاب لمساعدتهم على أداء أعمالهم (1).

وكانت هذه الأسواق تجذب جماهير المشتريين والسذج من المدنيين أو الريفيين الذين كانوا يقصدونها للبيع والشراء أو يدفعهم إلى ذلك ما يسمعونها عنها، حيث يتناقلون فيها الأخبار عن الحوادث التي تقع في كل أسبوع كالذي يقيم في القبيلة من حوادث القتل والسرقة والنصب، كما يرددون ما يرد من المدينة من أخبار مشوهة (2).

وقد جرت العادة - كما ذكرنا - على أن تتجمع كل طائفة من التجار في سوق خاصة بها تنسب إليها كسوق النحاسين وسوق الرماحين وسوق الفاكهة وسوق الزياتين وسوق السماكين وسوق الصوافين، وغير ذلك من الأسواق التي تضم عدة طوائف تتاجر في سلعة واحدة (3).

كما كان هناك نوع من الأسواق يسمى بأسيا اليوم الذي يعقد فيه حيث يتوجه السكان إليه في هذه الأيام معلومة بسلعهم لبيعها وشراء ما يلزمهم من حاجيات. فقد كان بمدينة القيروان سوق تسمى (سوق الخميس) (4) وأخرى تسمى (سوق الأحد) (5)، وكانت سوق قرية نصر بن جرو وهي قريبة من مدينة سبتة عقد يوم الجمعة (6). أما أسواق بني مغراوت وهي آخر بلد مكسسه بمنطقة غمارة فكانت تعقد يوم

---

<sup>1</sup> - الدباغ - نفس المصدر جـ3، ص 86 ، 87.

<sup>2</sup> - ليفي بروفنسال - الإسلام في المغرب والأندلس ، ط 1 القاهرة 1956، ص 264.

<sup>3</sup> - المقدسي : أحسن التقاسيم ص 225؛ القيرواني الأندلسي، قضاء قرطبة وعلماء أفريقيه ص 253.

<sup>4</sup> - المقدسي : أحسن التقاسيم ص 225.

<sup>5</sup> - القيرواني : أبو عبدالله محمد بن حارث بن أسد الخشني القيرواني الاندلسيت 361هـ، 971م ، قضاة قرطبة وعلماء افريقية والأندلس، تحقيق إبراهيم الايباري، ط 1 دار الكتب العلمية، بيروت، 1989م ، ص 232.

<sup>6</sup> - البكري : المغرب ص 108.

الثلاثاء<sup>(1)</sup>. كما كانت سوق مدينة أصيلة يوم الجمعة<sup>(2)</sup>. وكانت سوق مدينة اغمات وريكسه التي تعقد يوم الأحد من الكبر والاتساع حتى أنه كان مذبج فيها أكثر من مائة ثور وألف شاه وتتفد في اليوم الواحد<sup>(3)</sup>.

أما على وادي درعه فكانت الأسواق تعقد في كل يوم من أيام الجمعة في مواضع مختلفة منه وربما كان يعقد في اليوم الواحد سوقان وذلك (لبعد مسافته وكثرة الناس عليه وطول عمارته المتصلة سبعة أيام)<sup>(4)</sup>.

#### • أسعار السلع :

كانت أسعار السلع في أسواق بلاد المغرب في العصر الفاطمي : رخيصة بوجه عام، ولكن هذه الأسعار لم تكن بمعزل عن الأحداث السياسية والظروف الطبيعية السائدة آنذاك فكانت ترتفع تاراه وتنخفض أخرى وفقاً لنظرية العرض والطلب. ففي أيام الرخاء يكثر الانتاج ويفيض عن الحاجة فتقل الأسعار أما في أوقات الشدة فيقل الانتاج ولا يفي بحاجة السكان فترتفع الأسعار.

ولذا نجد أن الأسعار في أكثر الأوقات رخيصة، فأسعار الأغذية في مدينة برقة (فائضة الرخص)<sup>(5)</sup>، وكذلك أسعار الفاكهة في مدينة قابس<sup>(6)</sup>. أما الأسعار في مدينتي بونه ومرسى الدجاج فقد إمتازت بالرخص لوفرة إنتاجهما من الحبوب والفاكهة والماشية والتي كانت تحمل منهما إلى البلاد المجاورة<sup>(7)</sup>. كما كانت مدينتا سيته ذات غلات كثيرة ورخص وخصب<sup>(8)</sup>.

---

<sup>1</sup> - نفس المصدر، ص 107.

<sup>2</sup> - نفس المصدر، ص 111.

<sup>3</sup> - نفس المصدر ص 153.

<sup>4</sup> - البكري : المغرب ص 152.

<sup>5</sup> - ابن حوقل - صورة الأرض، ص 66.

<sup>6</sup> - نفس المصدر، ص 70.

<sup>7</sup> - نفس المصدر، ص 75 ، 76.

<sup>8</sup> - نفس المصدر، ص 81.

أما مدينة بلزمه فكانت أسعارها رخيصة وذلك لسعتها وكثرة الكراع فيها والماشية (1).

ولا أدل على أن هذه الأسعار كانت في متناول معظم أهل المغرب، أن حمل جمل تمر في مدينة قسطليله كان بدرهمين (2)، وأن سعر اللحم في مدينة القيروان خمسة أمناء بدرهم، والتين عشرة أمناء بدرهم (3)، كما اشتهرت مدينة صفاقس بانتاج زيت الزيتون الذي كان يباع في بعض الأحيان (أربعين رما قرطبية بمتقال واحد) (4). أما مدينة ايجلى - قاعدة بلاد السوس - فقد كان سكرها يباع القنطار منه بمتقالين وأقل وذلك لوفرة الانتاج منه (5).

ولكن في بعض الأحيان كانت تحدث بعض الأزمات الاقتصادية نتيجة الأوبئة والكوارث الطبيعية التي تؤدي إلى خفض الانتاج وقلة المعروض من السلع في الأسواق فترتفع الأسعار. ففي سنة 303هـ انتشرت الأوبئة والمجاعات في افريقية فوصل ثمن المد من القمح، نتيجة لذلك، ثلاثة دنانير (6) وقد تلا ذلك وباء آخر سنة 307هـ في مدينة القيروان (7) أدى إلى غلاء الأسعار (8) ثم وباء آخر في نفس المدينة وأعمالها سنة 317هـ وأدى إلى إرتفاع الأسعار وبلغ (قفيز قمح بالكيل القرطبي متقال ذهب) (9) وقد استمر هذا الغلاء حتى العام التالي أي سنة 318هـ حينما سقطت الأمطار بالقيروان وصلحت الأحوال ورخصت الأسعار (10)، وقد حدث هذا أيضًا

---

1- ابن حوقل - صورة الأرض ص 93.

2- المقدسي - أحسن التقاسيم ص 230.

3- المقدسي - أحسن التقاسيم ص 224 ، 225 (المن: وزن يساوي الرطل).

4- البكري - المغرب ص 19 ، 20.

5- نفس المصدر ص 161 - 162.

6- ابن عذارى ، البيان المغرب، جـ1، ص 174.

7- ابن أبي زرع الانيس المطرب ص 61.

8- ابن عذارى - البيان المغرب، جـ1، ص 184.

9- نفس المصدر جـ1، ص 200.

10- نفس المصدر جـ1، ص 202.

في المغرب حينما اجتاحت العواصف البلاد سنة 379هـ فانتشرت الأوبئة والأمراض وارتفعت الأسعار واستمر ذلك حتى العام التالي (سنة 380هـ) عندما عم الرخاء بالمغرب (فكان الزرع لا يوجد من يشتريه لكثرتة وكان الفلاحون وأصحاب الحرث يتركونه قائماً في محافلهم لا يحصدونه لرخصه) <sup>(1)</sup>.

وفي أحيان أخرى كان ارتفاع ثمن السلعة في بعض المدن مرجعه إما عدم توافرها وأنها كانت تجلب من مناطق أخرى فمدينة قسطلية - مثلاً - سعر الطمام بها في سائر الأوقات غال لأنه (يجلب إليها ولا يزرع بها من الشعير ولا القمح إلا زرع تافه) <sup>(2)</sup>.

وليس معنى هذا أن جميع السلع كانت رخيصة الثمن بل كانت هناك بعض السلع الغالية الثمن والتي كانت تجلب أو تصنع خصيصاً لطبقة الأثرياء. فالبقلمون - مثلاً - الذي احتكره سلطان المغرب - ربما بلغ ثمن الثوب منه عشرة آلاف دينار <sup>(3)</sup> كما كان يغزل بمدينة سوسة غزل يباع زنة المثلث منه بمثلين ذهب <sup>(4)</sup> وكان يصنع بمدينة سجلماس ثواب فاخرة من الصوف يبلغ ثمن الثوب منه أزيد من عشرين مثقال <sup>(5)</sup>.

#### • الإشراف على الأسواق وأهم ما بها من وظائف :

##### • المحتسب :

فوضت الحكومة الفاطمية رقابة دقيقة على التجار، واتخذت لذلك أساليب كثيرة ومتعددة ومن هذه الأساليب نظام الحسبة والحسبة في بلاد المغرب موضوع

---

<sup>1</sup> - السلاوي: أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري (ت 1315هـ / 1897م) الإستقصا في أخبار المغرب الأقصى، تحقيق جعفر السلاوي، ط3 دار الكتاب، الدار البيضاء 1997م ، ص 188.

<sup>2</sup> - ابن حوقل : صورة الأرض ص 94.

<sup>3</sup> - المقدسي - أحسن التقاسيم - ص 224 ، 225.

<sup>4</sup> - البكري - المغرب ص 36.

<sup>5</sup> - نفس المصدر، ص 147.

شأنك يكتنفه الغموض ولا توجد بين أيدينا معلومات كافية عنده ولذا سنحاول إلقاء الضوء عليه بما توافر لدينا من معلومات قليلة، ولما استخلصنا من كتب الحسبة.

فيذكر ابن خلدون في مقدمته أن الحسبة في بلاد المغرب في العصر الفاطمي كانت (داخله في عموم ولاية القاضي، يولى فيها باختياره) <sup>(1)</sup> وأنها كانت من الوظائف الدينية التي يسند إليها القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر <sup>(2)</sup>.

وكان على من تولى هذا المنصب أن تتوافر لديه شروط من أهمها : أن يكون (رجلاً عفيفاً، خيراً، ورعاً، عالماً، غنياً، نبيلًا، عارفاً بالأمر، محنكاً، فطناً لا يميل ولا يرتشي) <sup>(3)</sup>، وكان من عمل المحتسب النظر في نظم الأسواق وأن يحول دون بروز الحوانيت مما يعوق المارء، والإشراف على الموازين والمكاييل ودور الضرب والعيار ومراعاة إثبات اسم الخليفة على العملة وأن يراعي تنفيذ الشروط الصحية المفروضة على المحلات بتفتيش قدور الأطعمة وختم اللحوم بالإضافة إلى مراقبة الأسعار ومنع الاحتكار <sup>(4)</sup>.

ونظرًا إلى أن المحتسب كان من رجال الدين وليس لديه إلمام بجمع الصنائع والغش والتدليس، وعدم القدرة على القيام وحده بأعباء هذا المنصب الكبير، فإنه كان يتخذ له الأعوان للقيام بهذه المهام، كما كان يختار لكل صنعة عريفًا من بين أفرادها

---

<sup>1</sup> - ابن خلدون: عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون ت808هـ ، المقدمة ، مطابع الشعب ، القاهرة، د.ت ص 201.

<sup>2</sup> - نفس المصدر، ص 201؛ ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن تيمية ت728هـ، الحسبة في الإسلام ، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص 9.

<sup>3</sup> - ابن عبدون : محمد بن أحمد، ثلاثة رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق ليفي بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة، 1955م، ، ص 20.

<sup>4</sup> - ابن خلدون، المقدمة، ص 201؛ الشيزري: عبد الرحمن بن نصر الشيزري، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق السيد الباز العريني، القاهرة، 1956م، ص 9 - 12.

يشرف على أحوال طائفته ويطلعه على أخبارهم وحيلهم وطرق غشهم حتى يتسنى له مراقبتهم<sup>(1)</sup>.

### كاتب الوثائق :

كان في الأسواق حوانيت لكتاب الوثائق<sup>(2)</sup> يقصدها أصحاب المعاملات من الناس لتحرير عقود معاملاتهم. ولم يسمح لأحد بممارسة هذه الوظيفة إلا لمن دخل في المذهب الفاطمي، ويؤيد هذا قول القيرواني الأندلسي : (ولا ينتصب لكتاب الوثائق بالقيروان إلا من تشرق)<sup>(3)</sup> وبذلك نلاحظ أن الخلفاء الفاطميين استخدموا الوظائف للضغط على أهل البلاد للدخول في مذهبهم، خاصة أن هذه الوظائف كانت ذات نفع جزيل لمن يتولاها. فنجد أن عبد الملك ابن محمد الضبي، وهو من كتاب الوثائق في بداية العصر الفاطمي (ممن أثرى وأفاد واكتسب بما إلترمه من أخذ الدراهم في كتب الوثائق)<sup>(4)</sup> وآخر من كتاب الوثائق هو أبو بكر بن سليمان وكان في املاق شديد فتشرق<sup>5</sup> لكي يتولى كتابة الوثائق فكسب منها مالاً جسيماً<sup>(6)</sup>.

وكان يشترط على من يتولى هذه الوظيفة - إلى جانب تشيعه - أن يكون من أهل الفقه والحجه وأن يكون متصفاً بالعدالة وملماً بكتابه المقود. وشروط صحتها، بالإضافة إلى حسن الخط وترتيب اللفظ وإتساع العلم<sup>(7)</sup>.

### الدلال :

- 
- <sup>1</sup> - ابن خلدون المقدمة ص 201؛ الشيزري - نهاية الرتبة ص 11 ، 12.
  - <sup>2</sup> - الدباغ ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان جـ3، ص 121 ، 161.
  - <sup>3</sup> - القيرواني الأندلسي ، علماء افريقية ص 294.
  - <sup>4</sup> - القيروني، المصدر السابق، ص 284.
  - <sup>5</sup> - التشرق : تسميه كانت تطلق على من يدخل في المذهب الفاطمي لأن الفاطميين أتوا من المشرق.
  - <sup>6</sup> - القيروني، المصدر السابق ص 294.
  - <sup>7</sup> - القيروني، المصدر السابق ص 284؛ ابن خلدون، المقدمة، ص 200؛ ابن عبدون: ثلاث رسائل أندلسية ص 13 .

ومن الوظائف الهامة لتنشيط الحركة التجارية في أسواق بلاد المغرب الدلال، وهو الذي يتوسط بين البائع والمشتري ويحاول التوفيق بينهما، حيث يقوم بالتدليل على البضاعة ويقدم الأدلة على أنها جيدة وقيمة ويوضح أسعارها للمشتري وإذا فرغ من البيع أخذ الأجر الذي كان التاجر قد شرطه له (1).

وينبغي على من يتولى هذا العمل أن يكون من خيار الناس النقاة ومن أهل الدين والأمانة وصدق القول، لأنهم يتسلمون بضائع الناس ويقلدونهم الأمانة في بهمها، ولا ينبغي لأحد منهم أن يزيد في السلعة من نفسه، ومتى علم أن بالسلع وجب عليه أن يعلم المشتري ويوقفه عليه (2).

وقد جرت العادة على أن يتحضر الدلالون كل في نوع معين من السلم وكان عدد الدلالين يتوقف على نوع السلعة المباعة، فقد كان الدلالون عن الأقمشة والبضاعة الجلدية في مدينة فاس - مثلاً - أكثر من غيرهم في البضائع الأخرى ولأهمية هذه الوظيفة إهتمت الدولة بتنظيمها والإشراف عليها (3).

#### الوكلاء والسماسرة :

كان يقيم في أسواق المدن الكبرى وكلاء وسماسرة لإتمام العمليات التجارية من بيع وشراء لصالح موكلهم سواء كانوا من تجار الجملة المغاربة أو من التجار الغرباء، وكانوا يسافرون أيضاً إلى مختلف الجهات لإتمام هذه العمليات، فيذكر لنا القيرواني الأندلسي أن (محمد الرقادي ... ركب بحر القيروان إلى مصر في مركب لمؤمن البلوشي موكلاً له على ماله فغرق سنة ست عشر وثلاث مائة) (4) كما كان

---

<sup>1</sup> - الشيزري : نهاية الرتبة - 68.

<sup>2</sup> - الشيزري، المصدر السابق، ص 68.

<sup>3</sup> - حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، دار النهضة، القاهرة، 1966م، ص 514 ، 515؛ حسن علي حسن : الحياه الإدارية والاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأقصى في القرنين الخامس والسادس من الهجرة، القاهرة، 1973م، ص 397.

<sup>4</sup> - القيرواني الأندلسي ، علماء افريقية ص 284.

بعضهم يقيم في المراكز التجارية الكبرى والموانئ الهامة فكان في مرسى الخزر  
سماسرة للتجار من كافة الأقطار يقومون ببيع المرجان وشرائه<sup>(1)</sup>.

### الحمالون :

وكان يقوم بنقل البضائع من مكان إلى آخر فوق أكتافه أو على دابة تحمل  
المنقولات وكانوا يستخدمون الأكياس لحماية ثيابهم والحبال لربط المنقولات<sup>(2)</sup>،  
وكان عليهم أثناء سيرهم في الطرقات أن يمشوا أعلم دوابهم لينذروا الناس ويحذروا  
ال؟؟؟ وذوي الغفلة والأعذار، ويجب أن يكون للحمالين في كل صناعة موقف  
معروف لا يتعدونه، ولذا فقد وضعوا تحت رقابة المحتسب للإشراف عليهم<sup>(3)</sup>.

### السقاة :

وكانوا يسيرون في الأماكن العامة والأسواق يقدمون الماء للمارة والمشتريين  
لإرواء عطشهم، وكانوا يحملون الماء في قرب مصنوعة من الجلد ويصبون الماء  
في أكواب<sup>(4)</sup>. وقد وضع السقاة أيضاً تحت رقابة المحتسب للتأكد من نظافة الماء  
للمحافظة على صحة الناس، وكان عليهم أن يختاروا موضعاً لأنفسهم على النهر  
يضعون عليه قنطرة خاصة بهم على ألا يحملوا الماء من بين أرجل الدواب أو من  
الماء المكدر بالإضافة إلى منه النساء أن يغسلن بالقرب من موضع السقاية، منع  
إلقاء الأقدار على ضفة الوادي<sup>(5)</sup>.

---

<sup>1</sup> - ابن حوقل صور الأرض، ص 75.

<sup>2</sup> - حسن علي حسن ، الحياة الادارية الاقتصادية، ص 396.

<sup>3</sup> - ابن عبدون - ثلاث رسائل أندلسية ص 41.

<sup>4</sup> - حسن علي حسن عبد العواد - الحياة الإدارية والاقتصادية، ص 396 ، 397.

<sup>5</sup> - ابن عبدون - ثلاث رسائل أندلسية ، ص 32.



### • وسائل المعاملات :

لإلقاء مزيد من الضوء على نظم الأسواق في بلاد المغرب في العصر الفاطمي، يجب أن نتناول بالبحث وسائل المعاملات السائدة آنذاك، والتي كانت تتم بها عمليات البيع والشراء داخل الأسواق، ومن أهم هذه الوسائل :

#### الموازين :

كانت وحدة الوزن السائدة ببلاد المغرب هي : القنطار والرطل والأوقية والدرهم، ولكن قيمة الرطل كانت تختلف حسب نوع السلعة المراد وزنها، فهناك رطل لوزن الفلفل وآخر لوزن اللحم، ورطل لسائر الأشياء. وهكذا نجد أن الاختلاف مرجعه رخص ثمن السلعة أو ارتفاعها، ولم يكن اختلاف قيمة هذه الأوزان قاصراً فحسب على اختلاف نوع السلعة، وإنما كان لكل إقليم وبلد في المعاملة على أوطال تتفاضل في الزيادة والنقصان<sup>(1)</sup>، ومثال ذلك :-

- رطل مدينة تونس يساوي 12 أوقية (الرطل 144 درهم)<sup>(2)</sup>.
- رطل مدينة مليلة يساوي 22 أوقية (الرطل 30 درهم)<sup>(3)</sup>.
- رطل مدينة نكور يساوي 22 أوقية (الرطل 330 درهم)<sup>(4)</sup>.
- رطل مدينة تنس يساوي 67 أوقية (خاص لوزن اللحم)<sup>(5)</sup>.
- رطل آخر لمدينة تنس يساوي 22 أوقية (لوزن سائر الأشياء)<sup>(6)</sup>.

---

<sup>1</sup> - الشيزري - نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص 15.

<sup>2</sup> - المقدسي - أحسن التقاسيم، ص 240..

<sup>3</sup> - المقدسي، المصدر السابق ص 88 ، 89.

<sup>4</sup> - المقدسي، المصدر السابق ص 91.

<sup>5</sup> - المقدسي، المصدر السابق ص 62.

<sup>6</sup> - المقدسي - أحسن التقاسيم ص 62؛ العلوي هاشم، مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف

القرن الرابع الهجري، منتصف القرن العاشر الميلادي، الرباط، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، 1995، ج 1، ص 360.

وقد نتج عن هذا الاختلاف تفاوت في قيمة القناطير، فقنطار مدينة مليله وتكور كان يساوي 100 رطل أو 2200 أوقية<sup>(1)</sup>، خلاف قنطار مدينة أصيلة الذي كان قيمته 2240 أوقية<sup>(2)</sup>، واختلفت قيمة القنطار حسب نوع السلعة المراد وزنها فقنطار الزيت في مدينة تاهرت كان قنطاران وثلاثاً الفلفل وغيره فقنطار عدل<sup>(3)</sup>. واختلف كذلك قيمة ما تحتويه الأوقية من دراهم، فالأوقية في مدينة تونس كانت تقدر 12 درهماً<sup>(4)</sup> وأوقية مدينة مليله 15 درهماً<sup>(5)</sup>، وأوقية مدينة نكور 15 درهماً<sup>(6)</sup>.

وأما الدراهم، فدرهم العدل في مدينة تنس كان يساوي 3 قراريط (القيراط ثلث درهم) أو 12 صقلية عدا<sup>(7)</sup> ودرهم مدينة مليلة كان يساوي 5 / 3 ، 1 قيراط (القيراط خمسة أثمان درهم)<sup>(8)</sup> أما درهم مدينة ارشقول فيقدر 8 خرايب واخروبه أربع حبات<sup>(9)</sup>.

وهناك نوعاً آخر من الأوزان يسمى الصنوج وهو قطعة مستديرة بقدر الدرهم أو أكبر منه أو أصغر، اتخذها الفاطميون من زجاج مطبوع<sup>(10)</sup> وكان يرسم على أحد وجهيها بكتابة بارزة تدل على مقدار ما تساويه<sup>(11)</sup>.

1- المقدسي، المصدر السابق ص 88، 89، 91.

2- نفس المصدر، ص 112.

3- نفس المصدر، ص 69.

4- المقدسي أحسن التقاسيم ص 240.

5- البكري، المغرب ص 88 ، 89.

6- نفس المصدر، ص 78.

7- نفس المصدر، ص 62.

8- نفس المصدر، ص 88 ، 89.

9- نفس المصدر، ص 78.

10- المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 205.

11- حسن حسني عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة جـ 1، ص 419.

وكانت هذه الصنوج الزجاجية تستخدم في وزن النقود الذهبية والفضية وكانت تطبع في دار الضرب ثم يوزعها الأمراء على الصيارفة والتجار حتى إذا تقدم إليهم من يريد صرف درهم أو دينار ويمكن للصيرف أو التاجر أن يختبر وزنها بالصنوج التي لديه فيضعه في إحدى كفتي الميزان ويضع النقد في الكفة الثانية ليتحقق من استيفاء وزنه، فيقبله إن كان مستوفياً ويرفضه إن كان ناقصاً عن النصاب المطلوب (1).

وهناك صنوج أخرى تشبه في شكلها الصنوج السابقة، غير أنها أوزان أعدت لوزن الأشياء الثمينة كالمجوهرات والعطور والأدوية وما إلى ذلك، وكانت الكتابة المرسومة عليها تدل على نوع البضاعة المقصود وزنها (2).

ويمكن إرجاع استخدام الأوزان الزجاجية إلى أنها تظل نظيفة فلا يعلق بها شيء الأمر الذي يجعل الوزن بها دقيقاً أضاف إلى هذا أن أي تآكل فيها يمكن إدراكه بسهولة، ولم تكن هذه الصنوج الزجاجية تستخدم لوزن الأشياء الثقيلة لتعرضها للكسر بسهولة (3) وإنما كانت الأوزان الأخرى تصنع من الرصاص ويؤكد ذلك المقدسي بقوله (وأرطاله رصاص) (4).

وكانت هذه الصنوج والأرطال ينقش عليها أسماء الخلفاء الفاطميين وألقابهم، وقد استمر هذا بعد رحيلهم إلى مصر إذا احتفظ نوابهم من بني زيروى بذلك، ويؤكد ذلك المقدسي أثناء زيارته لأفريقية حيث قال (على كل رطل أمير المؤمنين فإن

---

<sup>1</sup> - حسن حسني عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة، جـ 1، ص 420.

<sup>2</sup> - حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، جـ 1، ص 420؛ جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين 10/9م، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1992، ص. 73

<sup>3</sup> - راشد البراوي، حالة مصر الاقتصادية زمن الفاطميين، مكتبة النهضة، القاهرة، 1948م، ص 208.

<sup>4</sup> - المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 240.

اجتمعت أرطال بموضع واحد بسط صبها وطبع على كل رطل ولو كانت عشرة)<sup>(1)</sup>.

ولم يتجاسر بنو زيري على رفع أسماء الخلفاء الفاطميين من على صنوجهم وأرطالهم إلا ما كان من المعز بن باديس في منتصف القرن الخامس الخجري حينما قطع دعوة الفواطم من على منابر بلاد المغرب ورفع أسماءهم من على السكة والصنوج والأرطال، وما بعد ذلك من زحف بني هلال وسليم، ومن وقتئذ انقطع ضرب الصنوج بإفريقية وانعدمت في البلاد ولم تعد السلطة الحاكمة تسمح بوجودها في المغرب كله بينما دام إتخاذها في ممالك المشرق العربي إلى عصر غير بعيد<sup>(2)</sup>.

#### المكايل :

كانت وحدة الكيل في بلاد المغرب القفيز والويبة والمد<sup>3</sup> والمطر والصحفة والقادوس والعموره والقليلة واللوح والقتنل والزلاقه، ولم تكن هذه المكايل، وحدة القيمة في أرجاء البلاد، ولذا نجد أن قيمتها مختلفة من مكان لآخر، ويتضح هذا من الجدول الآتي :-

| المدينة  | نوع الكيل | المقابل بالوزن                   |
|----------|-----------|----------------------------------|
| القيروان | القفيز    | 8 وبيات                          |
|          | الويبة    | 4 أثمان                          |
|          | الثمينة   | 6 أمداد بمد النبي <sup>(4)</sup> |
| تاهرت    | الصحفة    | 48 قادوساً                       |

<sup>1</sup> - المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 240.

<sup>2</sup> - ابن عذاري، البيان المغرب، جـ 1، ص 289، 290؛ حسن حسني عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة جـ 1، ص 423، 424.

<sup>3</sup> - المد : هو المقياس المستعمل للحبوب، وهو مقياس حفظ في بيت المحتسب. مورييس، النظم الاسلامية، ص 245.

<sup>4</sup> - البكري، المغرب، ص 26 ، 27.

|                                                                        |                            |         |
|------------------------------------------------------------------------|----------------------------|---------|
| أمداد بمد النبي (1)                                                    | القادوس                    |         |
| 25 مدًا بمد النبي (وكان نصفه يسمى السدس) (2)                           | الصحفه                     | تاكسور  |
| 20 مدًا بمد النبي<br>112 أوقيه (3)                                     | المد<br>قليله (مكيال زيت)  | أصيله   |
| 80 أوقيه<br>120 مدًا (4)                                               | المد (للطعام)<br>اللوح     | فأس     |
| 12 فنقلًا<br>8 زلافات<br>8 أمداد بعد النبي (يسع<br>75 ألف حبة قمح) (5) | المد<br>القفنقل<br>الزلافه | سجلماسه |

وقد حرص الفاطميون على أن تكون مكاييلهم دقيقة يصعب التلاعب فيها ولذا نجد أن كيلهم المسمى بالدوار (وهي تشف على وييه مصر بشيء يسير) (6) قد ألجم رأسها بعارضة من حديد وأقيم عمود من قاعها إلى العارضة فوقه حديد يدور على رأس الهيبة فإذا اترعها دار الحديد، فمسحت الويهه وصح الكيل (7) وقد ذكر ابن

<sup>1</sup> - البكري، المصدر السابق، ص 69.

<sup>2</sup> - البكري، المصدر السابق، ص 91.

<sup>3</sup> - نفس المصدر، ص 112.

<sup>4</sup> - نفس المصدر، ص 117.

<sup>5</sup> - نفس المصدر، ص 151.

<sup>6</sup> - المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 240؛ محمود إسماعيل عبدالرازق، *سوسيولوجيا الفكر*

*الإسلامي، القاهرة، كتبة مدبولي، 1988، ط3، ص. 489.*

<sup>7</sup> - المقدسي، المصدر السابق، ص 240.

عبدون في رسالته عن القضاء والحسبه أن هذا الكيل لا يستخدم إلا في كيل الحنطة وحدها (1).

وكان على الأمناء المشرفين على الأسواق أن يراقبوا الموازين والمكاييل في الأسواق منعاً للفت والتلاعب ولذا فقد كان (يطبع على جوانبها طبعاً موصلاً بأعلاها لئلا يزداد فيها وينقص منها) (2) كما كان يؤمر بمسحها في كل وقت وعند كل وزن ولا يتركونها حتى تتلطح وتنقل فيفشون بذلك:

#### العملة :

كانت العملة المستخدمة في الأسواق، هي العملة الذهبية من الدنانير، والدرهم الفضية، وكان لكل منهما أجزاء التي ضربت بدون شك لتسهيل عمليات البيع والشراء للحاجيات ذات القيمة الصغيرة فكان للدينار ربع صغير، أما الدرهم فكان له نصف يسمونه القيراط وربع وثمان يسمونه الخرنويه" ويؤخذ الجمع بالعدد ولا يرخصون في المعاملة بالقطع) (3).

#### السفاتج والصكوك :

كان تجار بلاد المغرب يستخدمون السفاتج والصكوك في التعامل فيما بينهم، وكذا في علاقتهم التجارية الخارجية، إذ كانت المعاملات المالية الضخمة، آنذاك – تتطلب وسائل للدفع مأمونة من الضياع خفيفة الحمل، وبعيد عن متناول اللصوص وقطاع الطرق، لطول المسافة وبعد الطريق (4).

---

<sup>1</sup> - ابن عبدون، ثلاثة رسائل في الحسبة، ص 39.

<sup>2</sup> - ابن عبدون، المصدر السابق، ص 107.

<sup>3</sup> - المقدسي : أحسن التقاسيم، ص 240.

<sup>4</sup> - السفاتج : مفرد سفتجة وهي كلمة فارسية معناها ورقة إليه أو خطاب ضمان ، محمد جمال الدين سرور، تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ، مكتبة النهضة، القاهرة، 1968م، ص 163. وكلمة صك : هو في الأصل سند الدين ينظر: محمد علي حيدر : محمد علي حيدر : الأوضاع الاقتصادية في العراق والشرق ( 330- 450 هـ)، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 1968م، ص 281).

وتشير وثائق الجنيزة إلى أن السفاتج استخدمت في التعامل التجاري بين بلاد المغرب والأقاليم المجاورة، إذ وجدت صفتجه من هذا النوع، بمبلغ مائتي دينار، مرسله من أحد تجار طرابلس إلى تاجر بمدينة الفسطاط<sup>(1)</sup>.

كما استخدمت الصكوك في المعاملات كوسيلة من وسائل دفع المال، وفي البيوع ووفاء الديون<sup>(2)</sup>، وقد جرت العادة أن يوقع على الصك شاهدان من العدول<sup>(3)</sup>. ولم يكن يحدد تاريخ معين لاستيفاء الصك<sup>(4)</sup>، إلا أنه وجدت صكوك لأجل معلوم تستحق الدفع في وقت معين<sup>(5)</sup>.

وقد انتشر استعمال هذه الصكوك في بلاد المغرب في القرن الرابع الهجري، حتى أن تجار سجلماسه كانوا يتبادلون فيما بينهم صكوكاً تبلغ قيمتها نحو أربعين ألف دينار<sup>(6)</sup> كما ذكر ابن حوقل أنه رأى باودغشت صكاً فيه حق لأحد التجار على رجل من تجار سجلماسه بمبلغ إثنين وأربعين ألف دينار<sup>(7)</sup>.

#### المقايضة :

كما إتخذت المقايضة كوسيلة من وسائل التبادل التجاري في بعض أماكن من بلاد المغرب وبصفة خاص جنوب الصحراء. فكان هناك قومًا يتبايعون بدون

---

<sup>1</sup> – Goitein: Benkers and accounts from the (1) Eleventh century A.D.P. 29 (Journal of the Economic and social Hist of the orient Vol.IX part 1 – 11 November 1966).

<sup>2</sup> – مصطفى الهمشري، الأعمال المصرفية في الإسلام، مجمع البحوث الإسلامية، 1983م، ص 21 ، 22.

<sup>3</sup> – ابن حوقل – صور الأرض، ص 60.

<sup>4</sup> – حورية عبد المجيد سلام ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مدينة الفسطاط حتى العصر الفاطمي، ماجستير بآداب القاهرة، 1971م، ص 134.

<sup>5</sup> – الجوزري، أبو علي منصور، سيرة الأستاذ جودر، تحقيق محمد كامل حسين، عبدالهادي شعيرة، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت، ص 126، 127.

<sup>6</sup> – الاصطخري، المسالك والممالك، ص 37 ، 38.

<sup>7</sup> – ابن حوقل، صور الأرض، ص 60.

مشاهدة (التجارة الصامتة) وآخرون يستخدمون قوالب الملح والصدف والنحاس وشهد البكري بأن أهل السوس يتبايعون بالحلى المكسورة انقار الفضة والدرهم المسكوك عندهم قليل أما جنوبي مدينة زويله فكان الملح عملتهم<sup>(1)</sup>.

---

<sup>1</sup> - البكري، المغرب - ص 162 ، 183.



## • مراكز التجارة الداخلية الرئيسية :

### • مدينة القيروان :

كانت مدينة القيروان من أعظم المراكز التجارية في بلاد المغرب، وقد حظيت بهذه المكانة خلال تاريخها الطويل، ولذا فقد وضعها المقدسي بين عواصم الإسلام الكبرى : ( فهي مفخر المغرب ومركز السلطان وأحد الأركان أرفق من نيسابور وأمير من دمشق وأجل من اصبهان )<sup>(1)</sup>. وذلك بفضل العناية في اختيار موقعها عند تشييدها في بساط من الأرض مديد، من الجوف منها بحر تونس، وفي الشرق بحر سوسة والمهدية وفي القبلة بحر صفاقس وقابس، وأقربها منها البحر الشرقي بينها وبينه مسيرة يوم وبينها وبين الجبل مسيرة يوم وبينها وبين سواد الزيتون المعروف بالساحل مسيرة يوم<sup>(2)</sup> فهي تقع إذا في منطقة وسط بين مدن أفريقية الرئيسية ومن ثم أصبحت مركزاً مهما للقوافل التجارية الآتية من سائر بلاد المغرب والسودان والشرق.

وكانت المدينة من الكبر والاتساع وكثرة الخيرات حتى قال المقدسي عن أهلها أنهم (الأغنام المرسله) وأن دروبها خمسة عشر درباً<sup>(3)</sup>. وأضاف البكري أن أبوابها خمس عشر باباً وحمامتها ثمانية وأربعون وأحصى لمذبح بالقيروان في بعض أيام عاشوراء من البقر خاصة فانتهى تسعمائة وخمسين وأن أهلها يحتطبون من زيتونها وليس لهم محتطب غيره وأن ذلك لا يؤثر في زيتونها أو ينقص منه<sup>(4)</sup>. كما زودت بالفنادق<sup>(5)</sup> لمبيت التجار الغرباء القادمين للتجارة والوافدين عليها، ومواجين

---

<sup>1</sup> - المقدسي : حسن التقاسيم، ص 225.

<sup>2</sup> - البكري : المغرب، ص 24.

<sup>3</sup> - المقدسي : أحسن التقاسيم، ص 225.

<sup>4</sup> - البكري : المغرب ص 25 ، 26.

<sup>5</sup> - ابن عذارى : البهان الضرب، ص 272.

وصهاريج لخزن المياه لأن ماءهم ضعيف ولذا فقد أجرى لهم الخليفة المعز قناة من الجبل تملؤها المواجين (1).

واتسمت أسواقها بالكبر فأصطفت فيها حوانيت التجارة على جانبي طريق مسقوف طوله نحو ميلين (2)، وكانت هذه الأسواق تحيط بالمسجد الجامع في موضع يسمى السماط الكبير (3)، كما كان الحال في مدينة الفسطاط (4)، وقد اختص كل قسم من أقسام السوق بالاتجار أو تصنيع نوع معين من السلع فهناك النجارين واللحامين والصباغين والرماحين (5)، كما كان بها سوقان من الأسواق الأسبوعية أحدها سوق الخميس (6) والأخرى سوق الأحد (7).

وقد إمتازت البضائع التي في هذه الأسواق بالكثرة والتنوع والرخص فهي (جيدة اللحوم قد جمع اضداده الفواكه ... والجبل والبحر والنعم مع علم كبير ورخص عجيب اللحم خمسة أمناء بدرهم والتبن عشر ولا تسأل عن الزبيب والتمر والاعناب والزيت) (8).

وذلك لكثرة ما يرد إليها من خيرات المناطق الغنية بالخيرات المتنوعة وخاصة الجانب الغربي المعروف بكثير ما فيه... من الحب والفاكهة وغيره مما تحتاجه الناس في معاشهم ومأكولهم (9).

---

<sup>1</sup> - المقدسي : أحسن التقاسيم، ص 225.

<sup>2</sup> - البكري : المغرب، ص 25.

<sup>3</sup> - المقدسي : أحسن التقاسيم ص 225.

<sup>4</sup> - أنظر : ناصر خسرو، سقر نامه، ص 57

<sup>5</sup> - المقدسي : أحسن التقاسيم، ص 225.

<sup>6</sup> - نفس المصدر، ص 225.

<sup>7</sup> - القيرواني الأندلسي، قرابه وعلماء أفريقية، ص 232.

<sup>8</sup> - المقدسي : أحسن التقاسيم، ص 224، 225.

<sup>9</sup> - البكري : المغرب، ص 24.

إلى جانب ما يردّها من المدن الأخرى، فمن قرطاجنة القطن<sup>(1)</sup> ومن قفصة الفواكه والتمر<sup>(2)</sup>، بخلاف ما يرد إليها كل يوم من مدينة جلولاء من أحمال الفواكه والبقول<sup>(3)</sup>، وما كانت ترسله جزائر بني مزغنة من عسل<sup>(4)</sup>، ومن المسيلة السفرجل المعتق<sup>(5)</sup>.

وقد ظلت مدينة القيروان مزدهرة معظم العصر الفاطمي وفترة طويلة من حكم بني زير بالرغم مما لاقته من المحن وأوامر الخلفاء والأمراء عنها. فقد نقل المهدي مقر حكمه إلى حاضرتة الجديد مدينة المهدية، ثم ما لاقته من محن ونهب على يد أصحاب مخلد بن كيداده ولئن كان لبناء مدينة المنصورية أكبر الأثر على مكانة مدينة القيروان فقد اتخذها الخليفة المنصور مقر لحكمة ثم نقل إليها الخليفة المعز أسواق مدينة القيروان وما نصها<sup>(6)</sup>، وظلت تتونس حتى حربت في عهد الأمير باديس، فيقول ابن عذارى أنه في سنة 405هـ نادى مناد في مدينة القيروان بانتقال من كان يسكن فيها من الصنهاجين إلى مدينة المنسورية ثم نادى مناد آخر بعد ذلك بإغلاق الحوانيت بالقيروان وفنادقها فأغلقت ولم يبق بها إلا بعض حوانيت الأحماس<sup>(7)</sup>، وبذلك فقدت مدينة القيروان أهميتها.

#### • مدينة المهدية :

وهي من أعظم المدن التي تم تشييدها على يد النظاميين والتي أدت دوراً كبيراً في التاريخ السياسي والاقتصادي لبلاد المغرب، وقد بدأ عبيد الله المهدي بناءها سنة 300هـ، وأتم بناءها، وانتقل إليها من مدينة رقاد سنة 308هـ، وبنائها

---

<sup>1</sup> - ابن حوقل : صورة الأرض ص 74.

<sup>2</sup> - البكري : المغرب، ص 47.

<sup>3</sup> - نفس المصدر، ص 32.

<sup>4</sup> - ابن حوقل، صورة الأرض ، ص 76.

<sup>5</sup> - ابن حوقل، صورة الأرض، ص 76.

<sup>6</sup> - البكري : المغرب، ص 25.

<sup>7</sup> - ابن عذارى، البيان المغرب، ص 271، 272.

يعكس ثقة الفاطميين في السيطرة البحرية إذ تم بناؤها على ساحل البحر في مكان حسين يحيط به الماء من ثلاث جهات ويبعد عن مدينة القيروان ستين ميلاً<sup>(1)</sup>. وقد وصل ابن حوقل مدينة المهدية أثناء زيارته لها سنة 336هـ بأنها كثيرة القصور لطيفة المنازل والدور حسنة الحمامات والخانات، خصبة كثيرة الفواكه والغلات<sup>(2)</sup>.

ولذا فقد شبهها المقدسي بمدينة القسطنطينية فمن (أحب أن ينظر إلى القسطنطينية فلينظر إليها)<sup>(3)</sup>. كما ذكر البكري أيضاً أن بها من المواجه العظام ثلاثمائة وستون علاوة على ما يجرى من القناة التي مدت إليها<sup>(4)</sup>، كما كان يحيط بها أرباض كثيرة أهلها بالسكان عامرة بالخيرات وأقرب هذه الأرباض إليها وبعد زويله الذي كان يتجمع فيه الأسواق والحمامات<sup>(5)</sup>.

ومن أجل تدعيم مركز المدينة الناشئة اقتصادياً فقد عبيد الله المهدي سنة 309هـ بأن يكون طريق الحاج ماراً على المهدية لأداء ما يجب عليهم من المغارم على ألا يتعدى أحد هذا الطريق<sup>(6)</sup>.

وقد ازدهر النشاط التجاري بها بفضل ما كان يربطها بالداخل من الطرق البرية لنقل تجارة الصادر والوارد إليها وخاصة تجار مدينة القيروان ولذا فقد قال عنها المقدسي أنها (خزانة القيروان)<sup>(7)</sup>، أضف إلى هذا أنها كانت تقع على طريق التجارة البري المحاذي للساحل والذي كان يربط شرق الدولة الإسلامية بغربها.

---

<sup>1</sup> - البكري : المغرب، ص 29.

<sup>2</sup> - ابن حوقل : صور الأرض، ص 71.

<sup>3</sup> - المقدسي : أحسن التقاسيم، ص 226.

<sup>4</sup> - البكري : المغرب ، ص 29.

<sup>5</sup> - البكري : المغرب، ص 30.

<sup>6</sup> - ابن عذارى، البيان المغرب. جـ 1 ص 189 ، 191

<sup>7</sup> - المقدسي : أحسن التقاسيم، ص 226.

كما إتخذ لها عبيد الله المهدي مرسى للسفن كان منقوراً في حجر صلد يسع ثلاثين مركباً تدخل إليه السفن من باب كبيرة على جانبيه برجان بينهما سلسلة من حديد فإذا أريد إدخال سفينة فيه أرسل حراس البرجين أحد طرفي السلسلة حتى تدخل السفينة ثم يمدوها كما كانت لئلا يطرقها مراكب الروم<sup>(1)</sup>. وكان يفد على مرساها هذا سفن الاسكندرية والشام وصقلية والأندلس وغيرها<sup>(2)</sup>. وكان بها أكبر دار لصناعة السفن في بلاد المغرب فكانت تسع أكثر من مائتي مركب مرة واحدة وكان بهذه الدار قبوان لحفظ آلات المراكب وعددها حتى لا تتعرض للتلف<sup>(3)</sup>. ولم تتمتع مدينة المهدية بمركز الصدارة هذا إلا قليل فقد إنتقل عنها الخليفة القائم بعد القضاء على ثورة أبي يزيد واستوطن مدينة صبره ومن بعده ابنه المعز فخلت بذلك أكثر أرباضها وتهدمت ويوجز ابن حوقل هذا في قوله (وقد إختلت أحوالها والتأثت أعمالها وانتقل عنها رجالها بانتقال ملوكها وبعدهم عنها)<sup>(4)</sup>.

#### • مدينة فاس :

كانت مدينة فاس حاضرة المغرب الأقصى وأهم مراكزها التجارية، وقد ساعدها على ذلك موقعها الممتاز ووقوعها في قلب البلاد وقربها من وادي سبو الذي أسهم في عملية التبادل التجاري فيقول الخزائن (ومنها قربها من وادي سبو

---

<sup>1</sup> - البكري : المغرب ص 30. وجدير بالذكر أن لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية تذكر أن المهدية كانت ثغر فينيقي قديم اكتشف بين الصخور، لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية، تنس الخضراء، القاهرة : 1943، ص 120.

<sup>2</sup> - البكري : المغرب ص 30.

<sup>3</sup> - نفس المصدر، ص 30.

<sup>4</sup> - ابن حوقل، صورة الأرض ص 71؛ Said Dahmani, Essai d'établissement d'une carte des voies de circulation dans l'Est du Maghrib central du IXe au XIIe siècles, 110<sup>ème</sup> congrès national des sociétés savantes, Montpellier, 1985, III<sup>ème</sup> colloque sur l'histoire et l'archéologie d'Afrique du Nord, p. 338

الذي تسيل منه جميع القوارب والسفن الصغار إلى البحر الأعظم وتطلع منه إلى ملتقى واديهـا<sup>(1)</sup>.

أضف إلى ذلك أنها مدينة كثيرة الخيرات والتين والزيتون وجميع الفواكه والخيرات والمطاعم والمشارب والتجارات<sup>(2)</sup>، ومختلف الصناعات من الأنسجة والجلود والصناعات الخشبية والمعدنية والخزف المرصع إلى غير ذلك<sup>(3)</sup>. مما جعل أسواقها حافلة بأنواع البضائع المختلفة التي تسد حاجة السكان وقد أوضح ذلك المراكشي بقوله (ولا أعلم بالمغرب مدينة لا تحتاج إلى شيء يجلب إليها من غيرها. إلا ما كان من المطر الهندي - سوى مدينة فامن هذه، فإنها لا تحتاج إلى مدينة في شيء مما تدعو إليه الضرورة بل هي أوسع البلاد مرافق وتملؤها خيراً)<sup>(4)</sup>.

ولذا نجد أن أسواقها تعج بالتجار من مدن المغرب المختلفة الذين آتوا إليها لتصريف بضائعهم وسلعهم أو للإقامة فيها من أجل التجارة ومن ناحية أخرى فإن القوافل التجارية كانت تخرج من مدينة فاس متجهة إلى المدن المغربية الأخرى وهي محملة بالأقمشة والأحذية وأغطية الرأس<sup>(5)</sup>.

وقد أدى هذا الازدهار الاقتصادي الذي تمتعت به مدينة فاس إلى اتساع المدينة وتطورها وكثرة مرافقها ومنشئاتها فكان على نهرها أزيد من ثلاثمائة رحي<sup>(6)</sup>، ونحو عشرين حماماً<sup>(7)</sup>، غير الخانات<sup>(1)</sup> التي ينزل بها التجار الغرباء وقد

---

<sup>1</sup> - أبو الحسن علي الجزنائي: زهرة الآس في بناء مدينة فاس ، قام بتحقيقه والاعتناء به المستشرق الفرنسي ألفريد بيل، مطبعة جول كاربونيل ، الجزائر، 1922م، ص 27.

<sup>2</sup> - ابن حوقل، صورة الأرض، ص 90 ، 91؛ المقدسي : أحسن التقاسيم، ص 229.

<sup>3</sup> - عبد العزيز بن عبد الله، الآثار الإسلامية بالمغرب ، المؤتمر الثالث في البلاد العربية المنعقد بمدينة فاس نوفمبر سنة 1959، القاهرة ، 1961، ص 379.

<sup>4</sup> - المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق، صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، 2006م، ص 358 ، 359.

<sup>5</sup> حسن علي حسن : الحياة الإدارية والاقتصادية، ص 305 ، 306.

<sup>6</sup> - البكري : المغرب، ص 105.

<sup>7</sup> - نفس المصدر، ص 105.

وصف ابن حوقل طرقات المدينة بأنها مفروشة بالحجارة وترعى أسواقها في كل يوم من أيام الصيف من ماء نهرها لغسلها وتخفيف حرارتها (2).

#### • مدينة سجلماسه :

وهي واحدة من المراكز التجارية الهامة في بلاد المغرب التي أدت دوراً بارزاً في التجارة الدولية لوقوعها على طريق القوافل المقلّة لتجارة الذهب والفضة والعبيد، فهي تقع في أول الصحراء جنوبي بلاد المغرب الأقصى حيث تخرج القوافل منها إلى بلاد السودان وفائه والتي تبعد عنها مسيرة شهرين في صحراء غير عامرة (3) ولذا فهي ذات تجارة نشطة يقصدها التجار من كل مكان خاصة أهل العراق ومصر وبلاد المغرب.

وقد وصفها ابن حوقل بأنها مدينة حسنة الموقع جليلة الأهل (4)، وأن أهلها (قوم سراة مياسير يباينون أهل المغرب) (5) كما أنه رأى بأودغمت صكاً على رجل من التجار المقيمين فيها وهو من سجلماسه بإثنين وأربعين ألف دينار، وقد أدهشه هذا حين قال (ما رأيت ولا سمعت بالمشرق لهذه الحكاية شبها ولا نظير ولقد حكيتها بالعراق وفارس وخراسان فاستطرفت) (6). كما بلغت حصيلة الضرائب المفروضة على أوجه النشاط الاقتصادي المختلفة ما يقرب من 400,000 ألف دينار سنوياً (7) ويدل كل هذا على عظم غنى أهلها وإزدياد النشاط الاقتصادي بها.

---

<sup>1</sup> - ابن حوقل صورة الأرض، ص 91.

<sup>2</sup> - نفس المصدر ص 90.

<sup>3</sup> - البكري : المغرب ص 148 ، 149.

<sup>4</sup> - ابن حوقل صورة الأرض، ص 91.

<sup>5</sup> - نفس المصدر ص 91.

<sup>6</sup> - نفس المصدر ص 99. S.D. Gaoiten : Studies in Islamic History and

Institution, Leiden. 1960. P : 298.

<sup>7</sup> - ابن حوقل صورة الأرض ص 100.

ومما زاد في شرائها كثرة الخيرات بها من التمر والأعناب والزبيب والفواكه والحبوب والرمان <sup>(1)</sup>، إذ كانت تقيم في منطقة سهلية خصبة حولها أرباض كثيرة <sup>(2)</sup>، يمدّها بالمياه نهر يزيد في الصيف كزيادة النيل <sup>(3)</sup>، يأتي من موضع يقال له أجلع، فإذا قرب من سجلماسه تشعب نهرين يسلك شرقيها وغربيها <sup>(4)</sup>. أضف إلى هذا وجود معادن الذهب والفضة في رستاقها <sup>(5)</sup>، وقيامهم بتصنيع منسوجات صوفية فاخرة يبلغ ثمن الثوب منها عشرين مثقالاً <sup>(6)</sup>، كما أسهمت نساؤهم أيضاً في هذا الرخاء يغزلهن الصوف البديع الذي كان يباع الثوب منه بخمسة وثلاثين ديناراً وأكثر وبلغ من الجوده والاتقان حتى قيل أنه (يفوق القصب الذي بمصر) <sup>(7)</sup>.

#### • مدينة برقه :

وهي من المراكز التجارية الهامة في بلاد المغرب الأدنى وتقع بالقرب من الساحل على بعد نحو نصف مرحلة من البحر، وهي أول المحطات التجارية للقدام من مصر إلى القيروان <sup>(8)</sup>، وفي خلال القرن الرابع الهجري ازدادت أهميتها وأصبحت مقصد التجار فيقول ابن حوقل (بينها من التجارة وكثرة الغرباء في كل وقت ما لا ينقطع طلباً لما فيها من التجارة وعابرين عليها مغربيين ومشرقيين) <sup>(9)</sup>. ويرجع ذلك إلى إنفراد أسواقها بتجارة القطران الذي لا يوجد في كثير من الأماكن

<sup>1</sup> - المقدسي : أحسن التقاسيم ص 230.

<sup>2</sup> - البكري : المغرب ص 148.

<sup>3</sup> - ابن حوقل، صورة الأرض ، ص 91.

<sup>4</sup> - البكري : المغرب ص 148.

<sup>5</sup> - المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 230.

<sup>6</sup> - البكري : المغرب ص 147؛ برنشفيك ، روبر، إفريقية، تعريب حمادي الساحلي، دار

الغرب الإسلامي، ط1، 1988م ، ج2 ، ص239

<sup>7</sup> - ياقوت الحمري، معجم البلدان ج—5، ص 41

<sup>8</sup> - ابن حوقل، صورة الأرض، ص 66؛ المقدسي : أحسن التقاسيم، ص 224.

<sup>9</sup> - ابن حوقل : نفس المصدر، ص 66 ، 67.



ووجو\*د الجلود التي تصدر إلى مصر للدباغ والتمور الواصلة إليها من واحة أوجله (1).

بالإضافة إلى هذا فكانت أسواقها تكثر بها السلع الشرقية والغربية ويوضع ذلك ابن حوقل بقوله (ولها أسواق جادة خاصة من بيوع الصوب والفلفل والعسل والشمع والزيت وضروب المتاجر الصادرة من المشرق والواردة من المغرب) (2).

كما ارتبطت برقة بعلاقات تجارية وثيقة مع مصر، وقد تميز أهلها بالفسطاط من بين أهل المغرب بحمرة ثيابهم وتغيرهم، وأهم ما كانت تصدره إلى مصر الجلود والصوف والعسل والقطران والذبايح (3).

وإلى جانب ذلك فتربثها الخصبة جملتها كثيرة الخيرات من الفواكه والأعمال والجوز واللاترج والسفرجل مع مراعي دائمة الخضر تصلح بها السائمة (4)، وقد تميزت أسعار هذه السلع بالرخص في معظم الأوقات ويؤكد ذلك ابن حوقل بقوله (وأسعارها بأكثر الأوقات فائضة بالرخص في جميع الأغذية) (5).

#### • مدينة طرابلس :

وهي من أكبر حواضر المغرب الأدنى التي تمتعت بمركز تجاري هام لوقوعها على رأس إحدى الطرق الهامة المؤدية إلى السودان فكانت بذلك مركز لتجارة الرقيق من الزنوج والبيض مما ومنها كانوا يرسلون إلى أسواق الشرق الإسلامي (6).

---

<sup>1</sup> - نفس المصدر : ص 66 ، 67.

<sup>2</sup> - نفس المصدر، ص 67.

<sup>3</sup> - ابن حوقل : صورة الأرض ص 66؛ البكري : المغرب ص 5.

<sup>4</sup> - المقدسي : أحسن التقاسيم ص 224؛ البكري : المغرب ص 5.

<sup>5</sup> - ابن حوقل، صورة الأرض ص 67.

<sup>6</sup> - ارشيبالد لويس، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (500 - 1100 م) ترجمة أحمد محمد عيسى مراجعة وتقديم محمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت، ص 330.

بالإضافة إلى هذا فكانت ثغراً بحرياً هاماً تحط به المراكب (ليلاً ونهاراً وترد بالتجارة على مر الأوقات والساعات صباحاً ومساءً من بلد الروم وأرض المغرب بضروب الأمتعة والمطاعم) (1).

كما كانت أسواقها حافلة بضروب البضائع من الأنسجة الصوفية وطيقان الأكسيه الفاخرة الزرق والكسل النفوسية والسود والبيض الثمينة (2). كما مدتها مزارعها الخصبة بالفواكه والأنجاس والتفاج والأبان والعسل (3)، وكانت أسواقها هذه داخل أسوار المدينة والبعض الآخر خارجها فنقل السلطان بعضها إلى داخل السور (4). وكانت هذه الأسواق كثيرة الفنادق والحمامات (5) لخدمة التجار الوافدين على المدينة.

#### • مراكز أخرى للتجارة الداخلية :

وهناك مراكز تجارية أخرى لا تقل أهمية عن السابق ذكرها، منها مدينة المنصورية التي شيدها الخليفة المنصور سنة 337هـ ونقل إليها الخليفة المعز أسواق القيروان وجميع الصناعات (6). وقد وصفها المقدسي بقوله (لا ترى مثلها ودار السلطان وسطها على عمل مدينة السلام والماء يجري وسطها شديدة العمارة حسنة الأسواق) (7).

وقد إزدادت أهميتها أكثر في عهد الأمير باديس عندما أمر في سنة 405هـ بانتقال من كان بالقيروان من الصهاجيين إلى مدينة المنصورية وإغلاق أسواق

---

<sup>1</sup> - ابن حوقل : صورة الأرض، ص 69؛ حسني إبراهيم مبارك، التطور الاقتصادي لولاية افريقية في عهد الاغالبة، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2008م ص 114

<sup>2</sup> - نفس المصدر، ص 69.

<sup>3</sup> - المقدسي : أحسن التقاسيم، ص 224.

<sup>4</sup> - ابن حوقل : صورة الأرض، ص 69.

<sup>5</sup> - البكري : المغرب ص 7.

<sup>6</sup> - نفس المصدر ص 25.

<sup>7</sup> - المقدسي : أحسن التقاسيم ص 226.

مدينة القيروان وفنادقها فبلغ كراء حانوت بالمنصورية نتيجة لذلك - مائتي درهم (1). ولا أدل على شرائها وكثرة التجار بها من أن المكوس التي كانت تجبى يوميًا عند باب من أبوابها تبلغ ستة وعشرية ألف درهم (2).

وقد ضربت مدينة المنصورية عندما أمر المعز بن باديس بنقل سكانها وأسواقها إلى مدينة المنصورية فأحدثوا بها الخراب والدمار (ومد العبيد ورجال صنهاجه أيديهم إلى خشب الحوانيت وسقائفها واقتلعوها وخربت العمارة العظيمة في ساعة واحدة) (3).

وهناك أيضًا مدينة زويلة التي تعتبر من أكبر المراكز التجارية في قلب الصحراء وهي أول حد بلاد السودان وتبعد عن بلاد كانم أربعين مرحلة (4). وبها أسواق (يجتمع بها الرفاق من كل جهة منها ومنها يفترق قاصدهم وتتشعب طرقهم) (5) وقد اشتهرت مدينة زويلة بتجارة الرقيق ومنها يجلب إلى إفريقية وغيرها (ومبايعاتهم بثياب قصار حمر) (6).

كما زادت أهمية تونس وصفاقس وسوسة وقابس كمراكز تجارية، فصدرت صفاقس زيتها إلى مصر وصقلية وأوروبا إلى جهات أخرى في بلاد المغرب (7)، أما تونس فكان بها أسواق كثيرة ومتاجر عجيبة وبها خمسة عشر حمامًا وفنادق كثيرة (8)، ويعمل بها غضار حسن الصاغ وخزف كالعراقي المجلوب (9).

---

<sup>1</sup> - ابن عذارى : البيان المغرب، جـ 1 ص 271 ، 272.

<sup>2</sup> - البكري : المغرب ، ص 25.

<sup>3</sup> - البكري : المغرب ص 25.

<sup>4</sup> - ابن عذارى : البيان المغرب جـ 1 ص 303.

<sup>5</sup> - البكري : المغرب ص 10.

<sup>6</sup> - نفس المصدر ص 11.

<sup>7</sup> - نفس المصدر ص 20.

<sup>8</sup> - نفس المصدر ص 40.

<sup>9</sup> - ابن حوقل : صورة الأرض ص 73.

كما نشطت حركة التجارة في كل من بونه ودهران وتتنس مع بلاد الأندلس وأصبحت أسواقها غاصه بمختلف البضائع والسلع<sup>(1)</sup>، كما زاد صيد المرجان من أهمية مرسى الخزر وسبته<sup>(2)</sup>، وأيضاً مدينة تاهرت التي غمرت أسواقها بمختلف السلع والتجارات والصناعات<sup>(3)</sup>.

### الخاتمة:

مما سبق يتبين أن:

- كان المشروع السياسي الفاطمي يسعى إلى تأسيس خلافة في الطرف بعيداً عن المركز، ثم الزحف من هذا الطرف على المركز وإسقاط الخلافة العباسية السنية لتصبح الخلافة الفاطمية هي الخلافة الشرعية التي تحكم كل العالم الإسلامي من قبله.
- قلة إشارات المؤرخين للنظم الفاطمية /الاقتصادية في المغرب الأدنى ، ولعل من الأسباب التي أدت بالمؤرخين القدامى إلى إهمال النظم هو قصر الفترة الزمنية التي قضاها الفاطميون في بلاد المغرب. وهذا السبب مرتبط بالسابق وهو هدف المشروع السياسي الفاطمي الذي يسعى إلى العودة إلى المشرق واتخاذ منطقة المغرب منطقة عبور فقط.
- كما أن طابع المرحلة العسكري، حيث صرفت في معارك من أجل تحقيق أهداف العودة بالسيطرة على بلاد المغرب
- بدا واضحاً أهمية الأسواق والتجارة الداخلية في إفريقية زمن الفاطميين وتعدد أسواقها ، والمعاملات المالية فيها ، وأهم مراكز

---

<sup>1</sup> - ارشيبالد : القوى البحرية، ص 330.

<sup>2</sup> - ابن حوقل : صورة الأرض ص 79؛ المقدسي : أحسن التقاسيم ص 239.

<sup>3</sup> - ابن حوقل : صورة الأرض ص 86؛ محمد حسن ، المدينة والبادية بإفريقية، جامعة تونس، الأولى، 1999م ، ج 1 ، ص 454

التجارة الداخلية فيها، التي ساعدت على نمو التجارة وتعدد المتاجر وكثرة التجار بين المدن التونسية والمغربية بعضها ببعض .

- شهدت إفريقية في عصر الفاطميين نهضة زراعية وصناعية وتجارية لا مثيل لها منذ الفتح العربي الإسلامي الى حين تولي الفاطميين أمرها واستولوا على أعنة الحكم فيها .

- أحدث العصر الفاطمي تعديلاً خطيراً في حياة البلاد فالتجارة قد نمت في الداخل والخارج وزادت العلاقات التجارية مع العلم المعروف آنذاك .

- عدل الفاطميين نظام النقد حيث سكت نقود فاطمية جديدة تحمل صفة الدولة وشعائرها الدينية، فان اتباع الدولة الفاطمية بالعمل على نظام المعدنين (الذهب والفضة) يعد من الأحداث الاقتصادية المهمة حيث ساعد هذا النظام على تسهيل وتنشيط العمليات التجارية داخل البلاد وخارجها

## • قائمة المصادر والمراجع:

- أولاً المصادر:
- ابن حوقل : صورة الأرض، مكتبة الحياة، بيروت، 1991م .
- البكري : أبو عبدالله بن عبد العزيز (ت 784هـ / 1301م):  
المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.
- ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن تيمية ت728هـ،  
الحسبة في الإسلام ، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- الجوزري: أبو علي منصور، سيرة الأستاذ جوزر، تحقيق محمد كامل حسين، عبدالهادي شعيرة، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.
- أبو الحسن علي الجزنائي: زهرة الآس في بناء مدينة فاس ، قام بتحقيقه والاعتناء به المستشرق الفرنسي ألفريد بيل، مطبعة جول كاربونيل ، الجزائر، 1922م
- ابن خلدون: عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون ت808هـ ،  
المقدمة ، مطابع الشعب ، القاهرة، د.ت
- الدباغ: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسدي الدباغ،  
ت699هـ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، بيروت، دار  
الكتب العلمية، 1998م
- ابن أبي زرع : علي بن أبي زرع الفاسي (ت  
741هـ/1341م) الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك  
المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط،  
1972م.
- السلاوي: أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري)  
ت1315هـ/1897م) الإستقصا في أخبار المغرب الأقصى، تحقيق  
جعفر السلاوي، دار الكتاب، الدار البيضاء 1997م .

- الشيزري: عبد الرحمن بن نصر الشيزري، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق السيد الباز العريني، القاهرة، 1956م.
- ابن عبدون : محمد بن أحمد، ثلاثة رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق ليفي بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة، 1955م .
- ابن عذارى : أبو العباس أحمد بن محمد: البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب تحقيق : محمد إبراهيم الكتتي وآخرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985م .
- القيرواني : أبو عبدالله محمد بن حارث بن أسد الخشني القيرواني الاندلسيت 361هـ،/971م ، قضاة قرطبة وعلماء إفريقية والأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1989م .
- المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق، صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، 2006م.
- المقدسي : محمد بن أحمد بن البناء البشاري، (ت. 380هـ) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، مكتبة مدبولي (القاهرة)، 1991م.

### ثانياً المراجع:

- أحمد إبراهيم الشعراوي: دور العرب في بلاد المغرب والأندلس، القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2015م.
- أحمد بوشرب: دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة وإخلاء آسفي وأزمور، رسالة ماجستير، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1979م
- ارشيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (500 - 1100 م) ترجمة أحمد محمد عيسى مراجعة و تقديم محمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت.
- برنشفيك ، روبر: إفريقية، تعريب حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1988م

- جودت عبد الكريم يوسف: *الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين 10/9م*، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1992
- حسن الباشا : *الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية*، دار النهضة، القاهرة، 1966م
- حسن حسني عبد الوهاب: *ورقات عن الحضارة العربية*، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ت
- حسن علي حسن : *الحياه الإدارية والاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأقصى في القرنين الخامس والسادس من الهجرة*، القاهرة، 1973م.
- حسني إبراهيم مبارك: *التطور الاقتصادي لولاية افريقية في عهد الاغالبة*، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2008م
- حورية عبد المجيد سلام: *الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مدينة الفسطاط حتى العصر الفاطمي*، ماجستير بآداب القاهرة، 1971م.
- راشد البراوي: *حالة مصر الاقتصادية زمن الفاطميين*، مكتبة النهضة، القاهرة، 1948م
- الطاهر أحمد الزاوي: *معجم البلدان الليبية* ، مكتبة النور، طرابلس، ليبيا 1968م
- عبد العزيز بن عبدالله: *الآثار الإسلامية بالمغرب* ، المؤتمر الثالث في البلاد العربية المنعقد بمدينة فاس نوفمبر سنة 1959، القاهرة ، 1961.
- العلوي هاشم: *مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن الرابع الهجري*، منتصف القرن العاشر الميلادي، الرباط، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، 1995.
- ليفي بروفنسال: *الإسلام في المغرب والأندلس (القاهرة 1956)* .



- محمد جمال الدين سرور، تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، مكتبة النهضة، القاهرة، 1968م.
- محمد حسن: المدينة والبادية بإفريقية، جامعة تونس، الأولى، 1999م
- محمد علي حيدر : الأوضاع الاقتصادية في العراق والمشرق) 330 - 450 هـ)، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 1968م.
- محمود إسماعيل عبدالرازق: سوسيولوجيا الفكر الاسلامي، القاهرة، كتبة مدبولي، 1988.
- مصطفى الهمشري: الأعمال المصرفية في الإسلام، مجمع البحوث الإسلامية، 1983م.
- موريس غ. ديمومبين : النظم الإسلامية ؛ نقله عن الفرنسية صالح الشماع ، فيصل السامر، بغداد : مطبعة الزهراء، 1952م.

#### المراجع الأجنبية.

- Goitein: Benkers and accounts from the (1) Eleventh century A.D. (Journal of the Economic and social Hist of the orient Vol.IX part 1 – 11 November 1966).
- S.D. Gaoiten : Studies in Islamic History and Institution, Leiden. 1960.
- Said Dahmani, Essai d'établissement d'une carte des voies de circulation dans l'Est du Maghrib central du IXe au XIIe siècles, 110<sup>ème</sup> congrès national des sociétés savantes, Montpellier, 1985, III<sup>ème</sup> colloque sur l'histoire et l'archéologie d'Afrique du Nord